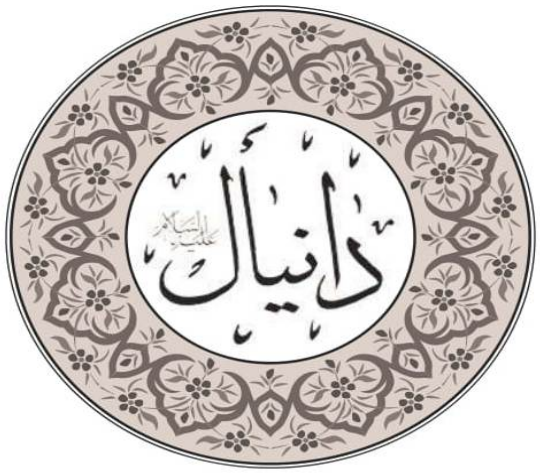

قصّة النبي دانيال عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الكلمة © 2016

مدخل إلى قصّة النّبي دانيال

تستند هذه القصّة إلى ما ورد في كتاب النّبي دانيال في الكتاب المقدّس. وقبل زمن النّبي دانيال، توعّد الله بني يعقوب على لسان النبي إرميا وغيره من الأنبياء أنّهم إن استمروا في ذنوبهم وضلالهم، فسيجعل الله مملكتهم تنهزم وسيلقى أفراد شعبهم إمّا الحتف أو الانسياق إلى السّبي. لكنّ بني يعقوب لم يتوبوا، فحلّ عليهم هذا العقاب ودُمّرت مدينة القدس واحترق فيها بيت الله وحرمه القدسي. كان دانيال (عليه السلام) أحد اليهود الأسرى الأوائل، وانساق في السّبي إلى بابل ليسكن هناك. ويخبرنا الطّبري في تاريخه كيف انتصر الملك نبوخذنصر (بخت نصر) على مصر، ثمّ "انطلق بالسّبي كثير من أهل فلسطين والأردن، فيهم دانيال وغيره من الأنبياء".

يروي كتاب النّبي دانيال عددا من القصص التي تتعلّق به وبرفاقه الثلاثة (الفصول ما بين 1 و 6). وفي هذا الكتاب تمّ تسجيل بعض الرؤى التي تلقّاها النبي دانيال من الله (الفصول ما بين 7 و 12). وتكشف هذه الرؤى أنّ الممالك العظمى رغم تمرّدها على الله ستنهزم أمام مملكة الله الموعودة التي تدوم إلى الأبد. وانتهت هذه الرؤى في كتاب النّبي دانيال بإعلان صريح لحقيقة النّشر والقيامة، حين يجازي الله الصالحين منهم ويعاقب الطّالحين.

صنّف الباحثون كتاب النبي دانيال ضمن صنف أدبي يسمى بأدب النّهايات، وفيه يأتي تأكيد أنّ الله يتدخّل بمعجزات وعجائب عبر التاريخ لينصف عباده الصّالحين. ويستخدم هذا الأدب الرّموز والرّؤى والنّبوءات لتحقيق أهدافه. ويهدف كتاب النّبي دانيال إلى شدّ عزيمة كل من يتصفّحه ويستمع إليه، فيبقى مخلصا لله وخاصة القرّاء الأوائل الذين عاشوا في مرحلة هيمنت على قومهم بعض الممالك العظمى المجاورة، واضطهدت بعض هذه القوى عباد الله وظلمتهم ولكن كان عليهم أن يعرفوا يقينا أنّ لله ملكوت كلّ شيء وهو يدير مجرى أحداث البشريّة لكي يتمّم مقاصده تعالى.

وورد في الفصل السابع من كتاب النبي دانيال في رؤيا للنبي وعد إلهي بخصوص مجيء المملكة الربّانية. ويقرّ الإنجيل أنّ هذا الوعد تحقّق بقدوم

سيدنا عيسى المسيح، فهو من رآه النّبي دانيال ووصفه بمن يشبه إنسانا قادما في ظلل من الغمام الذي ينال من الله سلطانا حتى يخدمه النّاس من كلّ الشّعوب والأمم واللّغات (أي أنّه سيد البشر).

بسم الله تبارك وتعالى

قصّة النّبيّ دانيال (عليه السّلام)

النبي دانيال ورفاقه في خدمة ملك بابل[٦]

في السنة الثالثة من حُكم يوياقيم ملك يَهوذا، زحف نَبوخذ نَصر[٧] ملك بابل على القدس وحاصرها. وبأمر الله انتصر الملك البابليّ على يوياقيم الملك اليهوديّ وجعله تحت سلطانه القويّ. ثمّ رجع إلى بابل حاملا معه آنية مقدّسة من أواني بيت الله العليّ، ووضعها في خزانة معبد إلهه الوثنيّ.

وذات يوم أمر ملك بابل كبير حاشيته أشْفَناز، أن يختار من بني يعقوب شبابا، يكونون من العائلة الملكية أو من عائلات النبلاء أنسابا، ممّن جاؤوا إلى بابل مع الأسرى. وأوصاه الملك قائلاً: "سيكون من تختارهم نشطين أقوياء، ذوي وسامة أصحّاء، ويجب أن يكونوا على درجة كبيرة من العلم، وفي التبصّر والإدراك متبحّرين، ممّا يجعلهم للخدمة في القصر الملكي مؤهّلين. وعلّمهم لغة بابل وآدابَنا". وأمر الملك أن يُقدَّم إلى الشبّان ما يُقَدَّم لحاشيته من الطعام، وأن يسقوا مثلهم من الخمر المُدام، وأمر بتدريبهم ثلاث سنوات، قبل أن يتأهّلوا للدخول إلى القصر الملكيّ ويقدّموا فيه الخدمات.

وكان من بين الشبّان المنتخبين أربعة شباب من عشيرة يَهوذا وهم: دانيال (عليه السّلام) وحَنانيا وميشائيل وعَزَرْيا. وقد أطلق عليهم كبير الحاشية أسماء بابلية. فسمّى النبي دانيال بَلطَشاصَر، وحَنانيا شَدْرَخ، وميشائيل ميشَخ، وعَزَرْيا عَبد ناغو.

---

[٦] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 1: 1-21.

[٧] وهو معروف أيضا باسم بَختنصر.

وعزم دانيال (عليه السّلام) ألاّ يقرب ما يُقدَّم إليه من طعام وشراب، لأنّهما محرّمان عليهم كما جاء في الكتاب،[٨] وطلب من كبير الحاشية أن يعفيَهُم من ذلك. وكان الله قد جعل كبير الحاشية ينظر إلى النبي دانيال بلطف ورضى، بيد أنّه انزعج من اقتراحه وأجابه: "لقد أمر مولاي الملك أن تتناولوا جميعًا ممّا يُقدَّم إليكم من الطعام والشراب، فإذا امتنعتم عنه، خفّ وزنكم وأصبح شكلكم مختلفًا عن زملائكم الآخرين، وإنّي أخشى أن يأمر الملك بقطع رأسي لأنّي أهملت واجبي".

ثمّ اتّجه النبي دانيال إلى المشرف الّذي ولاّه كبير الحاشية عليه وعلى من معه من الأصدقاء، وقال له: "يا سيّدي، جرِّبنا عشرة أيّام فقط، ولا تقدّم لنا سوى الخضر والماء، وبعد ذلك قارن بيننا وبين بقية الشبّان الّذين يأكلون من طعام الملك، وتستطيع عندها أن تقرّر ما تشاء". فوافق المشرف على ما قاله دانيال (عليه السّلام)، وجرّب اقتراحه عشرة أيّام. وبعد انقضاء الفترة المحدّدة بدا النبي دانيال وزملاؤه الثلاثة أحسن حالاً وأفضل صحةً من جميع الشبّان الّذين كانوا من طعام القصر الملكي يأكلون. فسمح لهم المشرف أن يتركوا ما يقدّم لهم من القصر الملكيّ من طعام وخمر، وألاّ يتناولوا إلاّ الخضر والماء.

وأكرم الله هؤلاء الشباب، فتعلّموا كلّ فروع الحكمة والآداب، وتميّز عنهم النبي دانيال عليه السّلام، بكرامة تفسير كلّ أنواع الرّؤى والأحلام.

وعند انتهاء ما حدّده الملك من مدّة للتدريب، أحضر كبير الحاشية الشّباب إلى بلاط ملك بابل المهيب. وحاورهم الملك ولاحظ أنّ دانيال وأصحابه الثلاثة كانوا على الجميع متفوّقين، فاختارهم للخدمة في القصر وجعلهم من المقرّبين. وكلّما استشارهم الملك في موضوع مهما استعصى، أظهروا من الحكمة والنُهى، ما يصل إلى عشرة أضعاف ما يتمتّع به جميع من في مملكته من سحرة وشيوخ روحانيين. وظلّ النبي دانيال في البلاط الملكيّ،

---

[٨] الطعام والشراب محرمان لأنهما قدما إلى الأصنام والآلهة أوّلاً كقرابين وليسا مخصصين مباشرة للأكل لذلك تنص التوراة على تحريمهما.

إلى زمن سقوط بابل في سطوة الملك كورَش الفارسيّ.[٩]

منام الملك نَبوخذ نصر[١]

وفي السنة الثانية من حُكم الملك نبوخذ نَصر وفي إحدى الليالي، رأى هذا الملك منامات مزعجة أرّقته وأبعدت عنه النوم. فاستدعى السحرة والشيوخ الروحانيين، والعَرّافين والمنجّمين، وعند حضورهم مجتمعين، طلب منهم أن يكونوا لمنامه مفسّرين. وقال لهم: "رأيتُ مناما أزعجني، فهل فيكم من يقدّم لي تفسيرا يقنعني؟" فأجابه المُنجِّمون باللغة الآراميّة: "عاش المَلك أبد الآبدين! يا مولانا، أخبرنا بالمنام ونحن له مفسّرون". فأجابهم المَلك: "إن لم تخبروني بمحتوى ما رأيت في المنام وتفسيره، سآمر بتمزيقكم إربا إربا، وأجعل بيوتكم مزابل خِرَبا، وإن أخبرتموني بالمنام وتفسيره، وهبتكم عظيم الهدايا وأغرقتكم في الكرم والعطايا! إنّ هذا هو قولي الأخير! فأخبروني بما جاء في منامي وقدّموا لي التفسير". فتوسّلوا إليه قائلين: "يا جلالة الملك العظيم، أخبرنا بما رأيتَ في المنام، واسمع منا تفسير الأحلام". فأجابهم في صرامة لا تلين: "إنّي على يقين، أنّكم تحاولون كسب مزيد من الوقت لعلّكم تنجون، وأنّكم رأيتموني على قراري شديد التصميم! فإن لم تخبروني بما رأيتُ، فعقابكم وخيم. فأنتم عليّ متآمرون وإنّكم لخادعون كاذبون، إذ حسبتم أني سأغيّر قراري بعد حين! هيّا أخبروني بما رأيتُ لأتأكّد أنّكم على تفسير رؤياي قادرون". وقال المنجّمون محتجّين: "يا مولانا، إنّ هذا لأمر مستحيل! لا يوجد على وجه الأرض من يستطيع قراءة أفكار الملك المعظّم! وما من ملك مهما كانت عظمته وسلطانه طلب هذا الأمر من ساحر أو شيخ روحانيّ أو منجّم! إنّ ما تطلبه يا مولاي محال، وما من أحد يمكنه أن يخبرك بمضمون المنام إلاّ الآلهة الّتي لا تقيم مع الإنسان".

فامتلأ قلب الملك غضبا وبغضاء، وأمر بإعدام كلّ حكماء بابل دون استثناء. فانطلق بعض الجنود عن النبيّ دانيال ورفاقه باحثين، لإعدامهم مع

---

[٩] ظلّ النبي دانيال في القصر الملكي خلال حكم الملك نَبوخذ نَصر والملك الذي خلفه إلى السنوات الأولى من حكم الملك كورش الذي ينحدر من بلاد فارس.

[١] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 2: 1-18.

بقية حكماء بابل الفاشلين. وعندما انطلق أريوخ قائد الحرس الملكي لتنفيذ الأمر، خاطبه النبي دانيال بحكمة وتبصّر، وسأله: "لماذا أصدر الملك هذا الحكم الشديد، وكيف يعدم أصحاب الرأي الرشيد؟" فشرح أريوخ للنبي دانيال أمر منام الملك وكيف عجز الروحانيّون عن تفسيره. فانطلق النبي دانيال ليرى الملك وطلَب منه مهلة حتى يخبره بكلّ ما رآه في المنام وتفسيره، فوافق الملك على ذلك.

ثمّ عاد النبي دانيال إلى الدار وأخبر رفاقه الثلاثة بالموضوع وما فيه من أخطار، وترجّاهم أن يتضرّعوا إلى ربّ العالمين ليرحمهم برحمته ويكشف لهم سرّ هذا المنام فينجون، ومع سائر حكماء بابل لا يعدمون.

النبي دانيال يفسر المنام[٢]

وفي تلك الليلة انكشف السرّ للنبي دانيال في رؤيا، فسبّح بحمد ربّ العالمين وقال: "تبارك الله من الأزل وإلى أبد الآبدين، إنّه ربّ الحكمة الجبّار المتين! سبحان الّذي يسيّر مجرى الكون والأزمان، ويُنزل الملوك عن عروشهم ويرفع آخرين إلى علو المقام، هو الّذي يمنح الحكمة للحكماء والفهم للفهماء! سبحان الّذي يكشف الأسرار والمخفيّات، إنّه العليم بما يكمن في الظلمات، وهو ذو النور الباهر، والضياء القاهر. يا الله، إنّك معبود آبائي الأوّلين، فلك الحمد وإنّي لك من المسبّحين، لأنّك وهبتَ لي الحكمة وقدرة التبيين، واستجبتَ لطلبنا، فأوحيتَ لي بمضمون منام الملك العظيم!

واتّجه النبي دانيال إلى أريوخ قائد الحرس الذي كُلّف بإعدام حكماء بابِل، وقال له: "إيّاك أن تنفّذ في حكماء بابل الإعدام! بل أدخلني لأمثل أمام الملك وأفسّر له ما رآه في المنام". فأدخله أريوخ مُسرعًا إلى البلاط الملكي وقال لسيّده ومولاه: "يا مولاي، وجدتُ أحد الأسرى من بلاد يَهوذا يريد أن يخبر الملك المعظّم عن رؤياه!" فالتفت الملك إلى النبي دانيال قائلاً: "هل صحيح ما تدّعيه؟ هل تستطيع أن تخبرني بمضمون ما رأيتُ في منامي وتقدّم لي ما يعنيه؟" فأجابه النبي دانيال: "لا يمكن لشيخ روحاني أو حكيم، أو ساحر أو أحد المنجّمين أن يبوح بهذا السرّ لمولاي العظيم! ولكنّ الله ربّ العالمين، هو

---

[٢] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 2: 19-49.

الّذي يكشف السرّ الدفين، وقد أظهر الله العلاّم لمولاي نَبوخذ نَصر ما سيحدث في قادم الأيّام. ها أنا سأخبرك بما رأيتَ في منامك، وبما أزعجك في نومك: إنّ ما رأيتَ يا مولاي، سيحدث في الزمن الآتي، والله يكشف لعبده الأسرار والغيبيات. وما كشف لي الله تعالى هذا السرّ لأنّي أفوق الناس حكمةً ونُهى، بل لكي تعلم أيّها الملك تفسير منامك وكلّ ما دار في أفكارك من رؤى. يا مولاي، لقد رأيتَ في منامك تمثالاً ضخمًا عظيما، ينتصب أمامك بهيّا، وكان منظره رهيبًا. رأسه من خالص الذهب، ومن فضّة صدره وذراعاه، ومن نحاس بطنه وفخذاه، ومن حديد ساقاه، وقدماه خليط من الحديد والخزف، ولمّا نظرتَ فيه، انقطع حجر من أحد الجبال من دون أن ترى يدا تلقيه، فضرب التمثال من أسفله فسحق قدميه. وتحطّم التمثال وانهار، وأصبح كومة من حديد وخزف ونحاس وفضّة وذهب ومع الريح طار، إذ أصبحَتْ كلُّها مثل تبن بيدر في الصيف في هباء ونثار. أمّا الحجر الّذي كسّر التمثال، فتحوّل إلى جبل ضخم واحتلّ الأرضَ كامل الاحتلال.

"يا سيّدي، إنّ هذا مضمون ما رأيتَ في منامك. والآن سأخبرك بمعناه. يا جلالة الملك، أنت أعظم الملوك والحاكمين، لأنّ ربّ العالمين منحك المُلك والعزّة والقدرة والجلال، وجعلك ملكًا على الأرض بالكمال، بما فيها من البشر والوحوش والطيور، فأنت الرأس الّذي من ذهب. وبعد انتهاء سلطانك، يأتي سلطان آخر، أقلّ شأنًا منك وأضعف، وبعد سقوطه تقوم مملكة ثالثة كأنّها النحاس فتتسلّط على أنحاء الأرض. وبعد تلك المملكة تأتي مملكة رابعة تكون صلبة كالحديد، وستسحق كلّ الممالك الّتي سبقتها، فكما يسحق الحديد كل الأشياء، كذلك تسحق هذه المملكة وتحطّم جميع تلك الممالك السّابقة. ورأيتَ أنّ القدمين والأصابع خليط من خزف وحديد، ويعني أنّ أمر المملكة غير متوحّد سديد، وستبقى رغم ذلك قويّة كقوّة الحديد، وتكون بعض الأجزاء من المملكة صلبة كالحديد وبعضها الآخر هش ينكسر بسهولة كالخزف. ويرمز هذا الخليط أيضًا إلى أنّ ملوك تلك المملكة سيسعون إلى تقويَة الدولة بتحالفات يقيمونها متصاهرين، ولكنّهم واهمون، فالحديد لا يتّحد مع الخزف وإليه لا يستكين. وفي أيّام تلك الممالك يقيم ربّ العالمين مملكة لا أحد يدمّرها أو يهزمها، بل ستسحق جميع تلك الممالك

وتقضي عليها، بينما تثبُت هي إلى أبد الآبدين. وهذا ما يرمز إليه الحجر الّذي انقطع من الجبل من دون أن تلمسه يد، فسحق التمثال المصنوع من حديد ونحاس وخزف وفضّة وذهب. إنّ الله العظيم ينبّه جلالة الملك بما سيحدث في المستقبل. وهذا هو منامك أيّها الجليل النبيه، وهذا تفسيره صحيح لا ريب فيه".

وانحنى الملك نَبوخذ نَصر في الحال أمام النبي دانيال في احترام وتقدير، وأمر قومه أن يقدّموا له القرابين ويحرقوا له البخور. وقال الملك للنبيّ دانيال: "إنّ ربّكم ربّ الأرباب لا محالة، ويسود على جميع الملوك ويكشف الأسرار، لأنّه مكّنك من أن تكشف الخبيء خلف الأستار".

ثمّ وهب النبي دانيال كثيرا من الهدايا، ورفعه إلى منصب عالٍ فوق البرايا، إذ جعله واليًا على بابل العاصمة، وأقامه رئيسًا على جميع حكماء الحاشية. وطلب دانيال من الملك أن يولّي رفاقه، شَدرَخ وميشَخ وعبد ناغو مناصب عالية وأن يجعلهم على إدارة شؤون بابِل الحامية، أمّا دانيال النبي، فظلّ في البلاط الملكي.

الملك يأمر بعبادة تمثال الذهب[٣]

وفي أحد الأيّام أمر الملك نَبوخذ نَصر رجاله أن يصنعوا تمثالاً من ذهب، طوله ستّون ذراعًا وعرضه ستّة أذرُع، وأوصى أن يُنصب في سهل دورا في ولاية بابل. ثمّ دعا باجتماع كلّ المسؤولين، من الوُلاة ووجهاء الدولة والزعماء والمستشارين، وأُمناء الخزينة والقضاة والضباط وغيرهم من كبار الموظّفين، حتى يقيم أمام التمثال حفل التدشين. وعندما اجتمع كلّ المدعوّين، أمام التمثال في هيبة ووقار، سُمع مُنادٍ ينادي بصوت عالٍ: "أيّها الناس يا من تمثّلون كلّ الأمم واللغات والشعوب، اسمعوا ما صدر عن مولانا الملك المَهيب، من أمر وقرار: إذا سمعتم جميع أصوات المعازف من بوق وناي وقيثار، وصوت رباب وعود ومِزمار، فاركعوا لتمثال الذَّهب الّذي أقامه مولانا الملك ساجدين. وكلّ مَن يرفض له السجود، يُلقى به في الحال وسط أتون ذي نار ووقود. وما أن سمع جميع ممثلي الشعوب

---

[٣] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 3: 1-7.

الحاضرين، أصوات تلك المعازف حتّى خرّوا لتمثال الذهب ساجدين.

دسيسة ضدّ رفاق النبي دانيال[٤]

وأخذ بعض المنجّمين أمر الملك ذريعة، حتى يزرعوا بين أهل يهوذا والملك الفرقة والوقيعة، فأقبلوا على الملك مردّدين: "عاش الملك أبد الآبدين! يا مولانا، لقد صدر أمرك أن كلّ مَن يسمع جميع أصوات المعازف من بوق وناي وقيثار، ورباب وعود ومزمار، عليه أن يسجد لتمثال الذَّهب، فإن تولّى ألقي في نار ذات لهب. وقد أقام جلالتكم على ولاية بابل من أهل يهوذا، شَدرَخ وميشَخ وعَبدَ ناغو، لكنّهم رفضوا أمرك واستخفّوا به، ولم يسجدوا لصنمك ولا اعترفوا به".[٥]

فعلا الملكَ غضب شديد، على هؤلاء النفر من أهل يهوذا، وأمرهم أن يمثلوا أمامه، وأن يتلقّوا غضبه وكلامه. وعند وصولهم قال لهم: "كيف تتجرّؤون وعن عبادة آلهتي تنكصون، كيف ترفضون السجود لتمثال الذهب الّذي نصبتُه وعليه تتكبّرون؟ ها أنّي أمنحكم فرصة أخيرة، ستسمعون الآن صوت البوق والناي والقيثار والرباب والعود والمزمار، وعليكم أن تخرّوا للتمثال ساجدين. وإن رفضتم ذلك، تُلقون في لهيب الأتون، وهل مِن إله ينقذكم من قبضتي في ذلك الحين؟"

فأجابه الشبّان الثلاثة: "يا نَبوخذ نَصَّر، إنّنا في غير حاجة إلى تبرير أو تفسير. نحن أيّها الملك عباد الله، وهو ربّنا القدير، ينقذنا من اللهب المستطير، ومن نفوذك الكبير. وحتّى إن لم ينجِنا، فإنّا لعبادة آلهتك رافضون، وعن تمثالك الّذي نصبته بعيدون!"

الحكم بالموت على رفاق النبي دانيال[٦]

فاستشاط الملك غيظًا واكْفَهَرَّ وجهه على رفاق النبي دانيال الثلاثة غضبًا،

---

[٤] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 3: 8-18.

[٥] لا توجد إشارة إلى أن النبي دانيال كان موجودا في المدينة زمن هذه الحادثة. وهذه القصة مهمّة لأنها تؤكد أن الله يحمي عباده الذين يتوكّلون عليه.

[٦] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 3: 19-25.

وأمر أن يُحمّى الأتون سبعة أضعاف ما كان يُحمّى لهبا، وأمر بعض الجنود الأشداء من جيشه أن يقيّدوا الرفاق الثلاثة ويلقوهم في الأتون المتوهّج باللهيب. فقيّدوهم تاركين ما عليهم من ثياب وألقوهم وسط السعير الرهيب. ولقد كان الملك في أمره شديدا، بأن يُحَمَّى الأتون ويُضرم أشدّ الإضرام، فمات الجنود الذين ألقوا رفاق النبيّ دانيال، حينما اقتربوا من ذلك اللهيب! بينما سقط الرفاق الثَّلاثة وسط النار مقيّدين.

وفجأةً اندفع الملك مندهشًا وقال لرجال حاشيته مستفسرا: "ألم نلق بثلاثة رجال وسط النار مقيّدين؟" فأجابوه: "أجل، يا مولانا". فقال: "فكيف أرى أربعة رجال بلا قيد وسط النار يتمشّون، ولم يلحقهم أذى، ورابعهم كأنّه إله عظيم؟"

إطلاق رفاق النبي دانيال[٧]

واقترب الملك من باب الأتون ونادى: "يا شَدرَخ وميشَخ وعبد ناغو، يا عباد الله تعالى، أُخرجوا من النار وتعالوا!" فخرجوا وأحاط الوُلاة ووجهاء الدولة والزعماء والمستشارون، بهؤلاء الرفاق النّاجين، فوجدوا أنّ النار لم تأتِهم بأيّ ضرر، ولم تحترق منهم شعرة ولم يمسس ثوبهم شرر، بل لا توجد عليهم حتّى رائحة النار. فقال الملك: "تبارك ربّ شَدرَخ وميشَخ وعبد ناغو الّذي أرسل ملاكه وأنقذ عباده الذين عليه يتوكّلون، فقد خالفوا أمر الملك، واختاروا الموت في النار على أن يكونوا لغير ربّهم ساجدين. أنا الملك، وإليكم أمري العليّ، لكلّ النّاس في مملكتي من كلّ الشعوب والأمم واللغات: كلّ مَن استهان بربّ شَدرَخ وميشَخ وعبد ناغو يُمزّق إربًا إربًا ويتحوّل بيته إلى مرمى للنّفايات. فلا إله غيره قادر على نجاة الناس بهذه الطريقة العجيبة!"

ثمّ رفع الملك شَدرَخ وميشَخ وعبد ناغو إلى مناصب أعلى في ولاية بابل.

---

[٧] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 3: 26-30.

الملك نَبوخذ نصر يرى رؤيا مرّة ثانية[٨]

وأرسل الملك نَبوخذ نَصر بلاغًا إلى الناس في كلّ أرجاء الأرض من مختلف الشعوب والأمم واللغات:

"دُمتم سالمين. يسُرُّني أن أُعلن الخوارق والمعجزات، تلك الّتي أجراها من أجلي الله تعالى صاحب الآيات.

فما أعظم معجزاته وما أقوى آياته! مُلكه يدوم إلى الأبد وسُلطانه يبقى على مدى الأجيال والمُدد.

أنا الملك نَبوخذ نَصر، كنتُ في قصري مقيما مرتاحًا مطمئنًا سليما. حتّى أفزعتني في إحدى الليالي رؤيا رأيتها في فراشي. فأصدرتُ أمرًا بإحضار حكماء بابل أمامي، ليفسّروا ما أفزعني في أحلامي. وعند وصول السحرة والمنجّمين، والشيوخ الروحانيّين، أخبرتُهم بمنامي، فعجزوا عن تفسيره وشرحه وتعبيره. وجاءني في النهاية دانيال الّذي سمّيته بَلطَشاصَّر تيمّنًا باسم إلهي، وكانت فيه روح الآلهة ذات القُدسيّة، فأخبرتُه بما رأيتُ في المنام وقلتُ: "يا بَلطَشاصَّر إنّك رئيس المستشارين الحكماء، وأنا أعلم أنّ روح الآلهة ذات القدسيّة قد حلّت فيك، فلا سرّ يبقى عندك في الخفاء. فأخبرني ما هو تفسير رؤياي. فبينما أنا نائم في فراشي، إذ بشجرة شامخة مرتفعة وسط الأرض أبيّة. نَمَت أكثر فأكثر حتّى صارت كبيرة قويّة، وبلغ ارتفاعها إلى السماء ليراها في أقاصي الأرض الناظرون. فأوراقها جميلة بهيّة، وثمارها وفيرة يأكل منها الناس أجمعون، وتحتها تستظلّ الحيوانات الوحشيّة، وبين أغصانها تتّخذ طيور السماء أعشاشًا، ومنها تقتات كلّ المخلوقات طعاما.

"وأثناء منامي، رأيتُ ملاكًا ينزل من السماء رقيبا طاهرًا وهتف بصوت كان مدوّيا ظاهرا: اِقطعوا الشجرة وقُصّوا أغصانها! وانثروا أوراقها وبدِّدوا ثمارها ولتهجر الوحوش ظلالها ولتترك الطيور أغصانها! ولكن اُتركوا الجذع والجذور، وقيّدوا الجذع وسط عشب الحقول بالنحاس والحديد، ودعوه يتبلّل بندى السماء، ويرعى مع الوحوش والحيوانات، وليتحوَّل عقله من

---

[٨] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 4: 1-18.

إنسان إلى وحش مدّة سبع سنوات.[٩] وبلّغتْ الملائكة الرقباء الأطهار هذا المنام، حتّى يعلم الجميع أنّ الله تعالى هو المهيمن على البشر وممالكهم جمعاء، وهو الّذي يقيم عليها مَن يشاء، حتّى أدنى الناس البسطاء".

أنا الملك نَبوخذ نَصر، إنّ هذا منامي الّذي رأيتُه يا بَلطَشاصَّر. ففسّر لي رؤياي فقد عجز عنه الحكماء. وأنت لا ريب قادر على تفسيره لأنّ روح الآلهة المقدّسة قد حلّت فيك".

النبي دانيال يفسر المنام[١]

وذهل النبي دانيال (عليه السّلام) فترة، وانزعج ممّا جاء في المنام، فبقي صامتا برهة حتى قال له الملك: "يا بَلطَشاصَّر، لا يهمّك مضمون المنام، ولا ما فيه من غمّ". فأجابه النبي دانيال: "يا سيّدي، ليت أحداث هذا المنام تتحقّق في مبغضيك، وتصيب أعاديك! أنت رأيتَ شجرة تنمو وتقوى، وبلغ ارتفاعها إلى السماء، حتّى رآها كلّ الناس في أصقاع الدنيا، وكانت أوراقها بهيّة، وثمارها وفيرة شهيّة، تأكل منها كلّ المخلوقات، وتستظلّ تحتها الوحوش، وتتّخذ الطيور بين أغصانها أوكارا وأعشاشا. هذه الشجرة يا سيّدي هي أنت. فقد أصبحتَ عظيما قويًّا، وازدادت عظمة ملكك وبلغت إلى السماء وامتدّ سلطانك إلى كلّ الأرض. ورأيتَ أثناء منامك يا مولاي، ملاكًا ينزل من السماء رقيبا طاهرًا ويقول: اِقطعوا هذه الشجرة واقضوا عليها، ولكن اتركوا في الأرض الجذع والجذور، وقيّدوا جذعها وسط عشب الحقول بالنحاس والحديد، ودعوه يتبلّل بندى السماء، ليرعى مع الوحوش والحيوانات، إلى أن تمضي عليه سبع سنوات. وها أنا أخبرك يا مولاي الملك بتفسير هذا المنام: إنّ الله تعالى قد حكم عليك بهذا القضاء. ستُطرد من بين الناس لتقيم مع حيوانات البيداء، وسترعى العشب كالبهائم وتتبلّل من ندى السماء، وتمضي عليك سبع سنوات إلى أن تعترف بأنّ الله تعالى يهيمن على ممالك البشر ويقيم عليها من يشاء. أمّا بقاء جذع الشجرة وجذورها على

---

[٩] اعتقد القدامى أنّ الرقم سبعة يحمل رمزية الكمال أو الشمولية أو الإتمام، ويعني هذا الرقم هنا العقاب التامّ.

[١] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 4: 19-27.

الثرى، فيعني أنّك ستردّ إلى مملكتك حينما تعترف بأنّ المُلك لله وحده ربّ الأرض والسماء. أيّها الملك الجليل، اقبل نصحي ومشورتي، واترك آثامك وخطاياك واستقم في أفعالك وارحم المساكين، لعّل هناءك يدوم".

إذلال الملك نَبوخذ نصر[٢]

ولكنّ الملك نَبوخذ نَصر لم يتُب إلى الكريم التوّاب، فتحقّق كلّ ما تنبأ به النبي دانيال من عقاب. وبعد مرور حول كامل، كان الملك يتمشّى في شُرفة قصره في بابل، فأجال بنظره في المدينة بإعجاب، وقال بغير شكّ ولا ارتياب: "ما أعظم مدينة بابل! إنّي بنيتُها باقتداري المتين، هي عاصمة لمملكتي تُظهر جلالي وبهائي العظيم!"[٣] وفيما كان كلام الملك على لسانه، خاطبه هاتفٌ من السماء: "أيّها الملك نَبوخذ نَصرُ، اصغ إلى هذا الأمر: قد زال عنك ملكك، فأنت الآن ذليل طريد، اخرج من بين النّاس وأقم مع الوحوش وارع العشب كما ترعي الثيران، كذلك تحيا سبع سنوات حتى تعترف أنّ الله تعالى هو صاحب الملك والسلطان، يهيمن على ممالك البشر ويقيم عليها مَن يشاء". وفي تلك الساعة حلّ عليه القضاء، فطُرد الملك من العيش مع الإنسان، وطعم العشب كالثيران، وتبلّل جسمه من ندى السماء، حتّى طال شعره وأصبح كريش النسور، ونمت أَظفاره وصارت كمخالب الطيور.

نبوخذ نصر يسبّح الله[٤]

وبعد قضائه تلك السنين، قال ملك بابل العظيم: "أنا نَبوخذ نَصر رفعتُ بصري إلى السماء فعدتُ إلى صوابي، وسبّحتُ بحمد الله المتعالي، ورفعتُ ذكر الحيّ الذي لا يموت ومجّدتُه كلّ التمجيد، فسلطانه لا يحدّ ومُلكه يدوم على مدى الأجيال والزمن المديد، وجميع سكّان الأرض أمام عظمته لا يُقدّرون، يفعل كما يشاء بملائكة السماء ومن هم في الأرض يسكنون، فلا

---

[٢] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 4: 28-33.

[٣] قارن سورة فُصّلت: 15.

[٤] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 4: 34-37.

أحد يقدر أن يحتجّ عمّا فعله وأن يردّ ما شاءه الله الرشيد.
وعندما عدتُ إلى رشدي وصوابي، أعاد الله عليّ مملكتي وجلالي وبهائي. وعاد جميع الوزراء والنبلاء واستأنفوا خدمتي من جديد، واعتليتُ عرش المملكة مرّةً أخرى، وازدادت عظمتي. وها أنا الآن، أنا نَبوخذ نَصر، أكبّر وأسبّح وأمجّد الله ملك العالمين! فكلّ ما يفعله حقٌّ وعدلٌ، وهو القاهر فوق كلّ المتكبّرين".[٥]

وليمة الملك بلشاصر[٦]

وبعد مرور سنوات من حُكم الملك نَبوخذ نَصر، أصبح بَلشاصَّر وليّ العهد يتولّى أمور المملكة.[٧] وأقام في يوم وليمةً فاخرة لألف من النبلاء وشرب خمرًا معهم حتى الانتشاء.
وعندما سلبت الخمر منه لبّه ونُهاه، أمر بإحضار آنية الذهب والفضّة الّتي سلبها سلفه الملك نَبوخذ نَصر من بيت الله، ليشرب فيها خمرًا مع النبلاء وزوجاته وجواريه. وأحضروا له الآنية المخصّصة لعبادة الله، فشرب فيها كلّ الحاضرين، وبينما كانوا يشربون الخمر، كانوا يسبّحون أصنامهم الّتي اتّخذوها من ذهب وفضّة ونحاس وحديد وخشب وحجر.
وفي تلك اللحظة من الزمان، ظهرت أمامهم يد إنسان، وكتبت بجوار المصباح على الجدار، وعندما رآها الملك، اصفرّ وجهه واستولى عليه خوف شديد، وارتعدت فرائصه وخارت قواه وأمر بإحضار المنجّمين، والسحرة والشيوخ الروحانيين وكلّ الّذين هم في العلم بالغيب ضالعون. وعند وصولهم خاطبهم الملك قائلاً: "مَن يقدر منكم أن يقرأ ما كُتب على الجدار، ويكشف لي ما فيه من معاني وأسرار، أمنحه امتياز ارتداء الأُرجوان وطوقًا من الذهب، وأرفعه إلى المرتبة الثالثة في مراتب أهل

---

[٥] انظر سورة آل عمران: 26.

[٦] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 5: 1-12.

[٧] في تلك الفترة كان الملك نابونيدوس حاكما على مملكة بابل، وذات يوم توجّه إلى الجنوب حتى يقود حروبا يستولي فيها على تجارة البخور، وترك ابنه بلشاصّر على كرسي العرش يدير شؤون المملكة إلى حين عودته.

المملكة!" ولكنّ الحكماء كانوا عن القراءة عاجزين، وعن فهمها وتفسيرها مردودين. فاشتدّ قلق الملك بَلشاصَّر وأصفرّ وجهه من جديد، واضطرب النبلاء والحكماء.

وعندما علمتْ الملكة الأمّ بكل ما جرى، اتّجهت إلى قاعة الوليمة حيث الملك ومن معه من الحاشية والوزراء وقالت: "عاش الملك إلى الأبد! لا تنزعج ولا يصفرّ وجهك أيّها الملك العظيم. في مملكتك رجلٌ حلّت فيه روح الآلهة ذات القُدسيّة. فقد تميّز هذا الرجل، في أيّام حُكم سلفك نَبوخذ نَصر، بفهم وحكمة وتبصّر، لا نجدها إلاّ عند الآلهة، وقد جعله سلفُك نَبوخذ نَصر رئيسًا للمنجّمين، وللسحرة والشيوخ الروحانيين، إنّه دانيال الحكيم، الّذي أطلق عليه سلفك الملك اسم بَلطَشاصَّر، إنّه ذو قدرات خارقة في فهم الأحلام وفكّ الألغاز وحلّ الأحاجي وتفسيرها. فاستدعِه حالاً حتى يخبرك بتفسير المكتوب وكشف الغيب المحجوب".

النبي دانيال يفسّر الكتابة[٨]

وحضر أمام الملك النبي دانيال، وسأله الملك وقال: "هل أنت دانيال الّذي أحضرك سلفي الملك من بلاد يَهوذا مع الأسرى؟ لقد بلغني أنّ روح الآلهة ذات القُدسيّة قد حلّت فيك، وأنّه لا يوجد من في الفهم والحكمة يضاهيك. وقد حاول الآن الحكماء ومن في بلاطي من العلماء، ومن الشيوخ الروحانيين أن يقرؤوا هذه الكتابة ويُطلعوني على تفسيرها، فارتدّوا عن ذلك وكانوا عاجزين. وبلغني أنّك متبصّر في تفسير أمور الغيب وحلّ العُقَد وفكّ الحجب، فدعني أرى إن كنتَ قادرا على قراءة هذا المكتوب على الجدار، وتعلمني بما فيه من أخبار، وعندها سأمنحك امتياز ارتداء الأرجوان وطوقًا من ذهب، وأجعلك في المرتبة الثالثة في المملكة".

فأجابه النبي دانيال: "لا أريد العطايا ولا الهدايا، اتركها لنفسك، أو امنحها لغيري وسأقرأ لك الكتابة وأخبرك بتفسيرها: أيّها الملك، لقد منح الله تعالى سلفك الملك نَبوخذ نَصر هذه المملكة بكلّ ما فيها من عظمة وبهاء وجلال. وجعله عظيمًا حتى هابه الناس وارتعدوا أمامه من كلّ الأمم والشعوب

---

[٨] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 5: 13-31.

واللغات، إذ كان يقتل مَن يشاء ويستبقي حيًّا مَن يشاء، ويُكرم مَن يشاء ويذلّ مَن يشاء. ولكنّه تكبّر وتجبّر وأصبح قاهرا مستبدًّا، فأنزله الله عن مُلكه ونزع عنه جلاله وبهاه، وطرده من بين الناس ونزع عنه نُهاه، وتساوى في ذلك مع الحيوان، وعاش مع الحمير الوحشيّة، وأكل العشب مع الثيران، وتبلَّل جسمه من ندى السماء، حتى اعترف أنّ الله تعالى يهيمن على ممالك البشر ويقيم عليها مَن يشاء. وأنت خلفه يا بَلشاصَّر، فرغم علمك بكلّ ما جرى، إلا أنّك لم تتواضع لله تعالى، بل تمرّدتَ على ربّ العالمين، وأمرتَ بإحضار آنية بيته المقدّس وشربتَ فيها الخمر، مع نبلائك وزوجاتك وجواريك، وسبَّحتَ أصنام الفضّة والذهب والنحاس والحديد والخشب والحجر، مع أنّها لا تملك قدرة إدراك ولا سمع ولا بصر. أمّا أنت فما أكرمت الله الّذي يملك روح حياتك وهو بمصيرك عليم! ولذلك أرسل الله عليكم تلك اليد لتكتب هذه الرسالة. وكلماتها الثلاثة هي: معدود، موزون وقسمان[٩] وتعني كلمة معدود أنّ الله قد عدّ أيّام حُكمك وأنهاها بعد الحسبان. وتعني كلمة موزون أنّ الله وضعك في الميزان فوجد أعمالك إلى النقصان.[١] وتعني كلمة قسمان أنّ الله قسم مملكتك قسمين ووهب قسما لمملكة ماداي وقسما لمملكة الفُرس.

وفي الحال أمر بَلشاصَّر أن يُلبِسوا النبي دانيال الأُرجوان ويُقلِّدوه طوق ذهب، وينادوا به الحاكم الثالث في المملكة. ولكنّه لقي مصرعه في تلك الليلة على أيدي جيش الماداييين. واستولى داريوس من مملكة ماداي على مملكة بابل وقد بلغ من عمره الثانية والستّين.[٢]

---

[٩] في اللغة الآرامية الأصلية لكتاب النبي دانيال، كان ما كُتب: "مَنَا، تقيل وفَرْسين".

[١] انظر سورة الأنبياء: 47.

[٢] تشير الجداول القديمة التي سجلت أسماء ملوك اليونان والفرس القدامى وزمن حكمهم إلى وجود امبراطور يُدعى داريوس، ولكنّه حكم بعد زمن الملك كورش. ويبدو أن داريوس المذكور في كتاب النبي دانيال هو من مملكة ماداي وقد ولّاه الملك كورش مدينة بابل بعد أن انتصر فيها، وحدث هذا في السنوات الأولى للحكم الفارسي.

النبي دانيال في جب الأسود[٣]

قرّر الملك داريوس، بعد اعتلاء عرش المملكة، أن يقسّم بلاد بابل إلى مئة وعشرين ولاية، وأقام على كلّ منها واليًا يديرها، واختار إلى جانب الولاة دانيال (عليه السّلام) واثنين آخرين ليكونوا جميعًا وزراء على الولاة يشرفون ولمصالح الملك راعون. وسرعان ما أثبت النبي دانيال بقدراته الفائقة تفوّقه على كل الولاة والوزراء، فعزم الملك أن يجعل له سلطانا على شؤون المملكة جمعاء، فثارت غيرة الوزراء والولاة، وأخذوا يترصّدون أيّ هفوة تصدر عن دانيال في إدارة المملكة، ولكنّهم لم يعثروا على أي دليل على الإهمال أو الفساد، لأنّ النبي دانيال كان صادقًا أمينًا على البلاد. وقال أخيرًا هؤلاء الرجال: "لا يمكن إدانته إلاَّ إذا كان الأمر يتعلّق بفرائض الشريعة في ديانة دانيال".

فاتّجه إلى الملك هؤلاء المتآمرون وقالوا له: "عاش الملك داريوس! نحن الوزراء والولاة والضباط والمستشارون والمسؤولون، رأينا أن يصدر الملك العظيم، مرسومًا يُنفَّذ بحزم لا يلين، وفيه يمنع منعًا باتًا مدّة ثلاثين يومًا توجيه الصلاة والدعاء نحو أي إنسانٍ أو إلهٍ معبود، إلاّ إليك أنت أيّها الملك المحمود، ومَن يخالف هذا المرسوم يُلقى في جبّ الأسود! والآن يا مولانا، نرجو منك أن تصدر هذا المرسوم المُمضى، فيصبح لأهل ماداي والفُرس من القوانين الّتي لا تتغيّر ولا تُلغى". واستحسن الملك داريوس اقتراحهم وأصدر المرسوم حالاً.

وعلم النبي دانيال بالأمر، وبتوقيع المرسوم، ولكنّه لم يتردّد في الذهاب إلى بيته، ودخل في عِلّيّته حيث النوافذ تُفتح نحو القدس الشريف، فركع وصلّى على عادته. وفي يوم واحد أقام الصلاة ثلاث مرّات وحمد ربّه الكريم.

فاجتمع أولئك المتآمرون، واتّجهوا إلى دار النبي دانيال، فوجدوه يصلّي ويستغيث ربّه الرّحيم. فأسرعوا إلى البلاط وذكّروا الملك بالمرسوم الّذي أصدره قائلين: "يا مولانا، أما أصدرتَ في النّاس مرسومًا لا يلين، فيه أنّ من صلّى لغيرك من إلهٍ أو إنسانٍ مدّة ثلاثين يومًا، يُلقى في جبّ الأسود؟"

---

[٣] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 6: 1-28.

فأجاب الملك: "أجل، إنّه لمرسوم مبين، وإنّه من قوانين أهل ماداي والفرس التي لا تتغيّر ولا تُلغى". فقالوا: "فما بال دانيال، أحد الأسرى من بلاد يَهوذا لا يكترث بجلالتك ولا بالمرسوم الّذي أصدرتموه، بل يصلّي لله ربّه في اليوم ثلاث مرّات ويدعوه".

وانزعج الملك كثيرًا عند سماع هذا الخبر، وعزم أن يجد طريقة ينقذ بها النبي دانيال، فبذل كلّ جهده قبل الغروب.[٤] أمّا خصوم النبي دانيال فعادوا إلى الملك مسرعين، وبإلحاح قائلين: "أيّها الملك الجليل، أنت تعلم أنّ قوانين أهل ماداي والفرس تنصّ على أنّ كلّ مرسوم يوقّع عليه الملك لا تغيير فيه ولا تبديل!"

وأمر الملك في النهاية باعتقال النبي دانيال وإلقائه في جبّ الأسود. وقال الملك لدانيال: "إنّ ربّك الّذي تعبده بكلّ إخلاص مدى حياتك، وحده قادر على نجاتك!" وأحضر رجال الملك حجرًا، وسدّوا به مدخل الجبّ، وختمه الملك بخاتمه وخاتم نبلائه حتّى لا يجرؤ أحد على إنقاذ النبي دانيال. ثمّ عاد الملك إلى قصرِه وقضى الليلة دون طعام، ورفض كلّ أنواع التسلية ولم يستطع أن ينام.

وهرع الملك عند طلوع الفجر الجديد، إلى جبّ الأسود، ونادى عند وصوله النبي دانيال وألقى عليه بتلهّف السّؤال: "يا دانيال يا عبد الله الحيّ القيّوم، هل استطاع ربّك الّذي تعبده بكلّ وفاء أن ينجيك من أنياب الأسود؟" فردّ دانيال على السّؤال: "عاش الملك إلى الأبد! إن ربّي ببراءتي عليم، فأرسل لسدّ أفواه الأسود ملاكه الأمين، فلم تؤذِني لأنّي لم أخطئ بحقّ الملك العظيم".[٥] فامتلأ الملك سرورا، وأمر بإخراج النبي دانيال من الهوّة السّوداء، فلم يجدوا على جسده أيّ أذى، لأنّه توكّل على ربّه تعالى. وأمر الملك بإحضار الرجال الّذين كانوا على دانيال يتآمرون، ورموا بهم وزوجاتهم وأبنائهم في جبّ

---

[٤] يبدو جليا أن انزعاج الملك لم يكن بسبب عصيان النبي دانيال لأوامره بل بسبب بوادر إيمانه بالإله الذي يعبده النبي دانيال، وهذا ما جعل الملك يبحث عن طريقة ينقذه بها. وبقية الكلمات تكشف بوضوح بوادر إيمان الملك بالله رب العالمين.

[٥] ذكر ابن كثير هذا الحدث مبنيا على رواية ابن أبي الدنيا إذ قال: "قال ضرا بختنصر أسدين فألقاهما في جب، وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه، فمكث ما شاء الله".

الأسود، وما إن وصلوا إلى قاع الجبّ حتّى بطشت بهم الأسود، وافترستهم ولم تبقِ عظمًا من عظامهم في الوجود.

وأرسل الملك داريوس لاحقًا رسالة تُتلى على الناس من مختلف الشعوب والأمم واللغات، يقول فيها: "دمتم سالمين. لقد أصدرتُ أمرًا للناس في أنحاء مملكتي بأن يهابوا ربّ دانيال خاشعين، لأنّه تعالى هو الحيّ الّذي لا يموت، ومُلكه لا ينهزم أبدًا وسلطانه يدوم إلى أبد الآبدين. إنّه ينقذ عباده وينصرهم، ويجري معجزات وخوارق في السماوات والأرض، وهو الّذي أنقذ دانيال من سطوة الأسود".

وظلّ النبي دانيال متألقا طيلة حُكم الملك داريوس وحُكم الملك كورَش الفارسيّ، وكان من المفلحين.

رؤيا النبي دانيال الأولى: الحيوانات الأربعة[٦]

ولقد كان للنبي دانيال في السنة الأولى من حُكم الملك بَلشاصَّر رؤى تأتيه في منامه، ثمّ سجّل محتواها بعد ذلك بكلّ تفصيل:

"رأيتُ في تلك الليلة الليلاء رياحًا، تهبّ من الاتجاهات الأربعة وتجتاح البحر الواسع اجتياحا، وطلعت من البحر أربعة حيواناتٍ ضخمة الواحد تلو الآخر، ويختلف كلّ واحد عن الآخر. أوّلها كالأسد له جناحان كأجنحة العقبان، وسرعان ما اقتُلِعَ منه الجناحان، بينما أنا أتأمّل الأمر، ثمّ ارتفع عن الأرض ووقف على رِجلَيه مثل إنسان، وحصل على عقل البشر. ثمّ رأيتُ حيوانًا آخر كالدبّ جنباه أحدهما أعلى من الآخر، وكان بين أنيابه ثلاثة أضلع هي له طعام، وسمعتُ صوتًا يأتيه بأمر: "هيّا كُلْ مزيدًا من لحم البشر!" وثالث هذه الحيوانات كالفهد، نبتت على ظهره أربعة أجنحة كأجنحة الطّيور. وكان له أربعة رؤوس، ثمّ استلم سلطانًا عظيمًا. أمّا رابع هذه الحيوانات فكان صلبًا فظيعًا مريعًا. وكان يفترس ضحاياه ويسحقهم بأنيابه الحديدية الضخمة سحقًا شنيعا، ثمّ يدوس رفاتهم برجلَيه دوسا فظيعا.

ويختلف هذا الحيوان عن سائر الحيوانات الّتي قبله وكان لديه عشرة قرون. وبينما كنتُ شاخصا إلى هذه القرون، إذا بقرن آخر صغير يطلع بينها،

---

[٦] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 7: 1-14.

فيزحزح ثلاثة من القرون الأولى منها ويحتلّ مكانها في الحين، وكان لهذا القرن عيون كعيون البشر وفم ينطق بغطرسة وتكبّر. وبينما كنتُ أنظر إلى هذا المشهد العجيب، نُصِبت عروش، واستوى صاحب الأزل المهيب، وتحلّى بحُلة ناصعة البياض كالثّلج، وكان شعر رأسه نقيًّا كالصوف، وعرشه يتوهّج كاللهيب، وتنبعث منه نار متوهّجة، وكان ملايين الملائكة حافّين بعرشه يخدمونه، ويقف بين يديه مئات الملايين من البشر ينتظرونه. وانعقدت جلسة القضاء في حضرة العزيز الجبّار، وفُتِحت الكتب والأسفار.

وقُتل الحيوان الرابع ورُمي في النار المتّقدة، واحترق بسبب ما نطق به قرنه من تكبّر وغطرسة. أمّا بقية الحيوانات فانتُزع منها المُلك والسّلطان، وسُمح لها أن تبقى على قيد الحياة إلى أجل مسمّى من الزّمان.

ورأيتُ في الليلة نفسها، ما يُشبه الإنسان، قادمًا في ظُلَلٍ مِن الغَمام. وأقبل على صاحب الأزل فأدنوه من حضرته وقرّبوه. فمنحه سلطانًا وجلالاً وقوّةً ملكيّة حتّى يخدمه الناس من كلّ الشعوب والأمم واللغات. سلطانه لا يحدّه حدّ، ويدوم ملكه إلى الأبد، ومملكتُه لا تُدمّر وحُكمه لا يقهر.[٧]

تفسير الرؤى[٨]

"أمّا أنا دانيال، فقد اضطربتُ كثيرًا وأفزعتني هذه الرؤى، فأقبلتُ على أحد الحاضرين، وسألتُه عن معنى ما جرى، فشرح لي قائلاً: إنّ هذه الحيوانات الأربعة الضخمة ترمز إلى أربعة ممالك ستحكم في الأرض في قادم الأزمان، ولكنّ عباد الله الصالحين سيفوزون بالمملكة الموعودة في نهاية المطاف وسيدوم حُكمهم إلى أبد الأبدين".

ورغبتُ في الاطّلاع على حقيقة الحيوان الرابع ومعناه، فقد كان يرمز إلى مملكة تختلف كثيرًا عن بقية الحيوانات التي رأيتُها وكان مفزعا جدّا، فقد

---

[٧] اختار السيد المسيح أن يشير إلى نفسه بلقب "ابن الإنسان" (هنا "ما يُشبه إنسان") يعني سيد البشر، لكي يدلّ على شمولية رسالته وسلطانه. وعندما سأله كبير الأحبار في المحكمة أمام المجلس الأعلى لليهود إذا كان حقّا هو المسيح المنتظر، فردّ بالإيجاب قائلا: ((أجَل، أنا هو، وسَوفَ تَرَونَ سَيِّدَ البَشَرِ جالسًا عَن يَمينِ اللهِ القَدير، وسَتَرَونَهُ قادِمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ مِنَ السَّماءِ)) [الإنجيل، مرقس 14: 62].

[٨] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 7: 15-28.

افترس هذا الحيوان ضحاياه، بأسنان من حديد وأظفار من نحاس ثمّ داس بأقدامه جثثهم. وأردتُ أن أعرف أكثر عن القرون العشرة الّتي نبتت في رأس هذا الحيوان، وخاصّةً عن القرن الصغير الّذي ظهر ونزع القرون الثلاثة، ويبدو أنّ هذا القرن كان أهمّ القرون، إذ كان يحمل عيونًا بشريّة وفمًا ينطق بتكبّر مبين، ورأيتُ هذا القرن يحارب عباد الله المنذورين ويردّهم مهزومين، حتّى جاء صاحب الأزل الحي القيّوم بإنصافه وعدله لعباد الله المصطفين، فقد آن الأوان أن يفوزوا بمملكة الله الأبدية الموعودة للصالحين.

وجاءني هذا التفسير أيضا: "هذا الحيوانُ الرابع رمز المملكة الرابعة الّتي ستهيمن على الأرض، وهي تختلف عن سائر الممالك، إنّ فيها جبّارين، سيلتهمون الدنيا بأكملها وسيدوسون كلّ ما يعترض طريقهم ساحقين. وترمز القرون العشرة إلى عشرة ملوك يهيمنون على تلك المملكة ويحكمون.

وسيأتي بعدهم ملك آخر يختلف عن الّذين سبقوه، وسيطيح بثلاثة منهم ولن يوقفوه، وسيستخفّ بالله تعالى ويضطهد عباده الصالحين، وسيسعى إلى تغيير أعيادهم وشرائعهم، وطيلة ثلاث سنوات ونصف يقع في سطوته الصالحون. وبعدها تُصدر جلسةُ القضاء الربّانيّ أحكاما، فيُنزع منه سلطانه ويهلك ويُباد تمامًا. ويمنح الله تعالى المُلك الأعظم والسّلطان العظيم، لمن كانوا له منذورين، ويدوم مُلكهم إلى الأبد، ويخضع لهم جميع السلاطين ويخدمونهم صاغرين.

هكذا انتهت رؤياي، وقد أفزعتني كثيرًا حتّى اصفرّ فيها وجهي، وقد فضلتُ أن أجعل كلّ هذه الأمور في قلبي طي الكتمان".

الكبش والتيس في رؤيا للنبي دانيال[٩]

يقول النبي دانيال (عليه السّلام): "وفي السنة الثالثة من حكم الملك بَلشاصَّر، رأيتُ رؤيا ثانية. إذ وجدتُ نفسي فجأةً أقف على ضفاف نهر أُولاي، في قلعة شوشة في ولاية عيلام. فنظرتُ حولي عند النهر فرأيتُ كبشًا له قرنان طويلان، أحدهما أطول من الآخر، رغم أنّه طلع بعده. وكان الكبش ينطح نحو جهات ثلاث غربًا وشمالاً وجنوبًا ولا حيوان يضاهيه، ولا

---

[٩] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 8: 1-14.

تنجو ضحاياه من سطوته فلا يفعل إلا ما يُرضيه، ولم يزدد بذلك إلاّ تكبّرًا عجيبا.

"وبينما انشغلتُ بما أرى، أقبل فجأةً تيسٌ من جهة الغرب سريعا كالهواء، واجتاز المسافة بسرعة حتى كاد يطير فوق الثّرى، وكان يحمل بين عينيه قرنًا بارزًا. فأسرع إلى الكبش العظيم، الّذي رأيته عند ضفاف النهر وهجم عليه بشراسة وقوّة لا تلين. ورأيتُه يصدم الكبش ويكسر له قرنيه. ولم يقدر الكبش أن يتحمّل الضربة، فسقط أرضًا وداسه التيس، ولم يتدخّل أحد لإنقاذه. وازداد التيس غطرسة وتكبّرا، ولكنّ قرنه الكبير انكسر في ذروة عظمته، وبرزت مكانه أربعة قرون اتّجهت نحو جهات الأرض الأربع.

"وخرج من بين أحد القرون الأربعة قرن صغير، ثمّ امتدّ سلطانه نحو الجنوب والشرق وأرض الميعاد المجيد. واشتدّت قوّته حتى هاجم نجوم السماء، وأوقع إلى الأرض نجوما وكواكب فداسها التيس القدير. وتكبّر وتجبّر حتّى تحدّى الله العزيز القدير، فمنع الأضاحي اليومية ودنّس بيت الله دَنَسَ الوثنيّة، وطرح الحقّ أرضا، ونجح القرن الصّغير في كلّ ما أراده من تدبير، وسمعتُ ملاكا يسأل ملاكا آخر: حتّاما تستمرّ هذه المعاصي؟ متى يعود النّاس إلى بيت الله وتقديمهم اليومي للأضاحي؟ متى يطهّر حرم بيت الله من النّجاسة؟ متى تنتهي مذلّة عباد الله ودوس الحرم الشريف؟ فأجابه الملاك الآخر: "يمضي ألفان وثلاث مئة يوم على هذا الحال حتّى نهايته، ثمّ يعود بيت الله المقدّس إلى طهارته".

الملاك جبريل يفسّر الرؤيا[1]

وقال النبي دانيال: "وعند انتهاء الرؤيا، حاولتُ أن أفهم ما جاء في المنام ومعناه، وسعيت إلى إدراك كنهه ومغزاه، لكنّي رأيتُ أمامي فجأةً كائنًا على هيئة رجل، وسمعتُ صوت إنسان ينادي من جوار نهر أُولاي: "يا جبريل فسّر لهذا الرجل رؤياه". فأقبل جبريل ووقف إلى جانبي، فارتعبتُ ووقعتُ أرضًا. فقال لي: يا ابن آدم، افهم أنّ كلّ الأحداث الّتي جاءت في رؤياك تتعلّق بنهاية الزّمان.

---

[1] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 8: 15-27.

"وأغمي عليّ وهو يخاطبني فوقعتُ أرضًا على وجهي، وأمسكني جبريل وأوقفني على قدميّ، وقال لي: "اِسمع، أيّها الإنسيّ، سأخبرك بالأحداث الّتي ستسبق نهاية العصر الحاليّ. إنّ غضب الله سيستمرّ إلى أن يتحقّق الموعود في أجله المسمّى. إنّ الكبش صاحب القرنين يرمز إلى مملكة ماداي ومملكة الفرس. ويرمز التيس إلى مملكة اليونان، ويرمز القرن الكبير الّذي يحمله بين عينيه إلى ملك اليونان الأوّل. أمّا القرون الأربعة الّتي طلعت بعد انكسار القرن الأوّل، فهي ترمز إلى ممالك أربع تقوم بعد تقسيم مملكة اليونان، ولكنّها لن تبلغ قوّتها في الحكم والسّلطان. وفي أواخر أيّام حُكمها، وعند اشتداد عصيان رجالها، يقوم ملك شرس شديد المكر، ويصبح قويًّا، ولكن مصدر القوّة ليس منه، وينجح في إحلال الدمار الرهيب، ويقضي على العظماء، ويقهر عباد الله الصالحين. ويزداد تكبّره، فهو ماهر في مكر الناس والقضاء عليهم وهم غافلون. ويصل تكبّره درجة تحدّيه لربّ الأرباب، لكنّ الله سيكسر شوكته بقوّة غير قوّة البشر.

وسيتوقّف تقديم الأضاحي لا ريب على مدى ألفين وثلاث مئة يوم كما جاء في الرؤيا، وإنّ هذا سيتحقّق في المستقبل البعيد، وعليك الآن كتمان هذه الرؤيا الكتمان الشديد".

ويضيف النبي دانيال: "وبعد انتهاء الرؤيا، أصبت عدّة أيّام بالوهن والعياء. ثمّ تعافيت وقمتُ لعملي في خدمة الملك، ولكنّي بقيت في اندهاش من الرؤيا عاجزا عن فهمها وتفسيرها".

تضرّع النبي دانيال[٢]

يقول النبي دانيال (عليه السّلام): "وحينما اعتلى داريوس بن حَشْوير من بلاد ماداي عرش مملكة بابل في سنته الأولى، وبينما كنتُ أتقصّى قراءة الكتب التي أنزلها الله من السماء وأوحى، عثرتُ في الوحي الّذي جاء على لسان النبيّ إرميا، أنّه قد آن للعقاب الّذي حلّ على القدس أن ينهى، إذ قد قضى الله أن تظلّ لمدّة سبعين سنة في الردى. فتوجّهتُ بالتضرّع والدعاء وبالصوم إلى الله مولاي المجيد، ولبستُ الخيش ووضعتُ الرماد على رأسي

---

[٢] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 9: 1-19.

من حزني الشديد. وفي دعائي اعترفتُ بآثام قومي وبكلّ الذنوب، فقلتُ: "اللهمّ، يا مولانا العظيم المهيب، إنّك لميثاقك دائم الوفاء، وإخلاصك وسع كلّ الّذين يحبّونك والّذين هم بوصاياك عاملون. أمّا نحن يا ربّ فقد أذنبنا وأثمنا وارتكبنا الشرّ، وكنّا عليك متمرّدين، وعن وصاياك وأحكامك زائغين، وأبينا أن نسمع لعبادك الأنبياء، الّذين بلّغوا رسالتك إلى ملوكنا وآبائنا ولكلّ الزعماء، وغيرهم من أهل أرضنا أجمعين. أيّها المولى، لقد عاملتَنا بكلّ إخلاص، أمّا نحن فلنا سواد الوجه إلى يومنا هذا، وهذه العاقبة تشملنا جميعًا من أهل يَهوذا وسكّان القدس وكلّ بني إسرائيل المشتّتين، والذين دفعتهم في جميع البلدان والأرجاء، عقابًا على أنّهم كانوا لك جاحدين. أجل يا الله، سواد الوجه لنا ولملوكنا وزعمائنا وآبائنا الأوّلين، لأنّنا في حقّك مذنبون، إنّما أنت يا ربّنا وإلهنا فإنّك واسع الرحمة والغفران مع أنّنا أمامك عصاة، وانحرفنا عن الإيمان والطاعات، عندما أمرتَنا أن نتّبع الشرائع الّتي أوحيتَ بها لعبادك الأنبياء. وجميع بني إسرائيل عَصَوا شريعتك وزاغوا عنها، وتمرّدوا عليك جاحدين، فحلّت علينا اللَّعنات، تلك الّتي توعّدتَنا بها بكلّ صرامة في كتاب عبدك النبي موسى. فحقّقتَ إنذارك الموحى وأصابنا كما أصاب كلّ الزّعماء، فأنزلتَ على القدس عقابًا شديدًا لم ير النّاس له مثيلا عبر الأزمان. وهكذا حلّت علينا جميع المصائب التي وردت في كتاب النبي موسى وجميع اللعنات، ورغم ذلك كلّه رفضنا السعي إلى مرضاتك، ورفضنا الاعتراف بوفائك ورفضنا أن نكون تائبين. يا الله، إنّك على آثامنا ومعاصينا رقيب. وحينما عاقبتنا، أرسلتَ علينا كلّ هذا البلاء، لأنّنا نستحقّه بسبب ما اقترفنا من ذنوب، فأنت العدل الحق الحسيب.

ويضيف النبي دانيال: "يا الله يا مولانا، يا مَن أعليت ذكرك عاليًا حين أخرجتَ قومك من مصر بيد قديرة، ودام صيتك إلى هذا اليوم، لقد وأذنبنا وارتكبنا أعمالا شريرة. فيا ربّ، إنّك تعاملنا بما يليق بوفائك بالوعود، فعن القدس رُدّ غضبك الشديد، وعن الجبل المقدّس المجيد! انظر يا الله إلى من حولها من الأمم والشعوب، انظر إليهم إنّهم منها يسخرون، ومن أمّتك المصطفاة يستهزئون، بسبب آثامنا وآثام آبائنا الأوّلين! اللهمّ اسمع دعائي! اللهمّ استجب لندائي! اللهمّ انظرْ بعين الرضى إلى حرمك المقدّس الّذي

تحوّل إلى خراب مريع، اللهمّ أعد بناءه واجعل مقامه المقام الرفيع. يا إلهي إنّك أنت العليّ السميع، فاسمعْ دعائي. وأنت البصير فانظر إلى معاناتنا وإلى الخراب الّذي حلّ على المدينة المصطفاة. إنّا نسألك الرحمة لا لأنّنا لها أهل، بل لأنّك أرحم الراحمين. يا ربّ اِسمعْ دعائي! يا ربّ اِغفر لنا! يا ربّ عجّل لنا برحمتك! أنزل علينا يا ربّ لطفك ورضاك! إنّك اصطفيت القدس مدينتك واصطفيت هؤلاء القوم ليرفعوا قدرك في العالمين!"

الملاك جبريل يفسّر النبوءة[٣]

يقول النبي دانيال (عليه السّلام):"وبينما كنتُ مأخوذًا في الصلاة والدعاء، والإعتراف بذنوبي وذنوب قومي بني يعقوب الآثمين، موجّهًا تضرّعاتي إلى الله مولاي لأجل إعادة بناء بيته المقدّس في القدس، جاءني الملاك جبريل الّذي رأيته من قبل في الرؤيا، يقبل عليّ طائرًا مسرعا، وكان ذلك في وقت تقديم أضحية العصر، وقال لي: "يا دانيال، إنّي جئتُ إليك لأفسّر لك الرؤيا. إنّ الله استجاب لك حين بدأت تضرّعاتك تصعد إليه، وأُرسلتُ لأخبرك بالوحي فأنت عند الله حبيب عزيز. فتأمّل فيها بينما أكشف لك عن معناها المكنون."

وأضاف الملاك جبريل: "إنّما حدّد الله على شعبك ومدينتك المقدّسة سبعة أضعاف لسبعين سنةً تمضي كلُّها للقضاء على المعصية وإنهاء إثم العصيّ، ويتمّ التكفير عن الذنب وإقامة الإنصاف الأبديّ، تصديقًا لما جاء في رؤيا إرميا النبيّ، ثمّ يُدشَّن بيت الله المقدّس من جديد. اِسمع يا دانيال واِفهم أنّه منذ صدور الأمر بإعادة بناء القدس إلى حين مجيء المسيح الملك العظيم، تمضي سبع سنين سبع مرّات ثمّ سبع سنين اثنتين وستّين مرّةً، فتعود لتُبنى المدينة من جديد بشوارع وسور منيع شديد، رغم كلّ الشدائد الّتي ستمرّ عليها. وبعد مرور سبع سنين اثنتين وستّين مرّةً يُقتل المسيح المختار وكأنّه لم يوفق في شيء، ثمّ يأتي حاكم جبّار، فتخرّب جيوشُه المدينة وبيت الله المقدّس، فتأتي النهاية مثل سيل عظيم، بحرب تدوم وخراب محتوم. ويقطع هذا الحاكم عهدًا متينا مع الناس لمدّة سبع سنواتٍ، وفي منتصف هذه الفترة

---

[٣] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 9: 20-27.

يأمر بوقف تقديم الأضاحي في الحرم المقدّس، ويبلغ كُفرُهُ إلى أن تحلّ في بيت الله النجاسةُ والخرابُ المدنّسُ.[٤] وفي النهاية يلقى هذا المجرم من الله مصيره المحتوم".

آخر الأيّام[٥]

ثم قال الملاك: "وينهض ميخائيل كبير الملائكة الّذي يحرس قومك في ذلك الحين، فيحلّ عليكم زمن شديد لم تروا له مثيلا في سالف العهود. ولكنّ مَن يُسجّل اسمه من قومك في كتاب النجاة يكون من الناجين، وتُبعث من تحت التراب الحشود، ليفوز بعضهم بحياة الخلود وينال بعضهم الآخر الخزي والذلّ وفيهما يُخلَّدون.[٦] ويظهر نور أهل الفهم والحكمة كضياء الأفلاك في السماء، والّذين أرشدوا الناس وجعلوهم من المستقيمين، ينيرون السماء كالنجوم إلى أبد الآبدين. والآن يا دانيال، احفظ هذا الوحي واجعله في كتاب مكنون إلى حين حلول الزّمن الأخير، واعلم أن الناس ستضيق بهم سبل التفسير، رغم ازدياد المعرفة والتنوير".

رؤيا النبي دانيال بجوار النهر[٧]

وأضاف النبي دانيال قائلا: "ثمّ نظرتُ من حولي، ولمحتُ ملاكين آخريْن، يقف كلٌّ منهما على ضفّة من ضفّتَي النهر متقابليْن. وسأل أحدهما الملاك الآخر الّذي يرتدي الكِتّان، الواقف عند مجرى النّهر وقال له: "حتّام هذه الأمور الغريبة، وهذه الأحداث العجيبة؟" فرفع الملاك المتسربل بالكتّان إلى السماء يُمناه ويُسراه، وأقسم بالحيّ الّذي لا يموت: "هذه الأحداث العجيبة تدوم ثلاث سنوات ونصف وهذا كل مداها. فعندما يتمّ تكسير شوكة قوم

---

[٤] تحققت هذه النبوءة من النبي دانيال من خلال الأعمال الشنيعة التي ارتكبها الملك الوثني أنتياخوس أبيفانيس الرابع، الذي حوّل بيت الله في القدس إلى معبد وثني، حيث قدّم الأضاحي إلى الإله زيوس. وتحقّقت هذه النبوءة مرّة أخرى، فسيدنا المسيح اقتبس من كلام النبي دانيال هذا بعد مرور مئات السنين، ومن خلاله أشار إلى دمار القدس من قبل الجيوش الرومانية التي دنّست بيت الله (انظر الإنجيل، متّى 24: 15).

[٥] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 12: 1-4.

[٦] انظر سورة الحجّ: 7.

[٧] استنادا إلى كتاب النبي دانيال 12: 5-13.

المنذورين تنتهي هذه الأمور وتبلغ أقصاها". ومع أنّي سمعتُ كلمات الملاك، إلاّ أنّني لم أفهم معناها، فقلتُ: "يا سيّدي، ما مآل هذه الأمور وما منتهاها؟" فأجاب الملاك: "لا عليك يا دانيال، اِذهب في أمان الله، وما كشفتُه لك اجعله طيّ الكتمان إلى حين حلول نهاية الزمان. وستطهّر هذه الشدائد الناس وتنقّيهم، أمّا الأشرار فيظلّون في شرورهم قابعين، ولا أحد منهم يفهم سبب هذه الأحداث وبمآلها جاهلون، وأمّا أهل الحكمة فلمعناها يدركون. وستمرّ ألفٌ ومئتان وتسعون يومًا من زمن منع تقديم الأضاحي وتشييد المقام الوثنيّ النجس. فهنيئًا للصامدين، الّذين هم على إيمانهم ثابتون، حتّى ينقضي ألف وثلاث مئة وخمسة وثلاثون يومًا! أمّا أنت يا دانيال النبيّ، فكن مخلصًا حتى يأتي الأمر النهائيّ! ثمّ تموت وتُدفن، وبعدها تُبعث من مَرقدك حيًّا لتنال ثوابك عند انقضاء الأيّام". [٨]

[٨] قارن تشبيه الوفاة بالنوم الذي ورد في سورة يس: 52.